

اجتهادات مشاهد لا تنسى

مُلْهَمَةٌ بِمَقْدَارِ مَا هِيَ مُؤَلِّمَةٌ وَمُحْزَنَةٌ مَشَاهِدِ ضَحَايَا الْكَارِثَةِ
الزَّلْزَالِيَّةِ فِي تَرْكِيَا وَسُورِيَا، وَالْمُنْقَذُونَ الَّذِينَ سَابَقُوا الزَّمْنَ بِحَثًّا
عَنْ أَحْيَاءِ تَحْتَ الرِّكَامِ وَالْحَطَامِ. تَشْعُرُ كَمَا لَوْ أَنَّ النَّاجِينَ وَالْقَرِيبِينَ
إِلَى الْمَوَاقِعِ الْمَنْكُوبَةِ يَتَبَدَّلُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ الْقَاسِيَةِ، حِينَ
يُحَاصِرُهُمُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَأَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. هَكَذَا وَصَفَهُ أَحَدُ
النَّاجِينَ. ضَحَايَا كَثُرَ فَقْدُوا أَرْوَاحَهُمْ، وَقَلِيلٌ تَشَبَّثُوا بِالْحَيَاةِ. لِرَاحَةِ
الْمَوْتِ رَهْبَةٌ تُذَكِّرُ الْكَائِنَ الْبَشَرِيَّ بِأَنَّهُ أَوْعَفُ مِنَ الضَّعْفِ، وَلَوْ ظَنَّ
أَنَّهُ أَقْوَى مِنْ كُلِّ قُوَّةٍ، وَأَنَّهُ سَيَلْقَى وَجْهَ رَبِّهِ مُجَرَّدًا مِنْ كُلِّ مَا
أَمَضَى حَيَاتِهِ فِي السَّعْيِ إِلَيْهِ إِلَّا عَمَلَ صَالِحٍ هُوَ وَحْدَهُ مَا يَنْفَعُهُ.

لَكِنْ ذَاكِرَةُ الْبَشَرِ تَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَضْيَقُ مِنْ ذَاكِرَةِ سَمَكَةٍ، إِذْ
سَرَّعَانَ مَا يَنْسَى أَغْلِبُهُمْ مَا يُفْتَرَضُ أَنَّهُ لَا يَنْسَى. فَلَا تَمُضِي أَيَّامٌ أَوْ
أَسَابِيْعٌ حَتَّى يَعُودَ مِنْ بَدَلِهِمْ هَوْلٌ مَا شَاهَدُوهُ إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ. قَلِيلٌ
هَمٌّ مِنْ يَنْعَمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَيَعْتَبِرُونَ بِمَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ دُرُوسًا
مُلْهَمَةٌ فِي أَيَّامِ مُؤَلِّمَةٍ.

وَلَكِنْ فِي كُلِّ مَنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ لِحَظَاتٌ يَلْمَعُ فِيهَا وَمِيزٌ يَشْرَحُ الْقُلُوبَ
عِنْدَ الْعَثُورِ عَلَى أَحْيَاءٍ وَانْتِشَالِهِمْ. وَيَزْدَادُ وَقْتُ هَذَا الْوَمِيزِ
السَّرِيعِ بِطَابَعِهِ كُلَّمَا أُنْقَذَ شَخْصٌ بَدَأَ أَنْ نَجَاتِهِ مُسْتَحِيلَةٌ. فَكُلَّمَا
مَضَى الْوَقْتُ بَاتَ الْأَمَلُ أَقْلَ فِي الْعَثُورِ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ. وَلَكِنْ
مَنْ بَقِيَ لَهُ عَمْرٌ صَمَدٌ إِلَى أَنْ عُثِرَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَرُورِ خَمْسَةِ أَوْ سِتَّةِ

أيام بلا طعامٍ أو ماءٍ أو دواءٍ إذا كان مريضاً. فقد استمر العثورُ على أحياء حتى اليوم السادس. ولم يُصدّق بعضُ الذين أُخرجوا، بعد أن اقترب الموتُ منهم، أنهم نجوا. فسأل أحدهم منقذيه إن كان على قيد الحياة فعلاً.

أما شعورُ الناجين تجاه مُنقذِيهم فلا يمكن وصفه بأي كلمات. هؤلاء المُنقذون النبلاء هم النورُ الذي سطع وسط ظلام الكارثة. في داخل كلٍ منهم إنسانٌ بالمعنى الكامل، وليس مجرد كائنٍ بشري. عملوا بكل طاقاتهم في ظروفٍ صعبةٍ وطقس قارس. لا يريدون جزاءً ولا شكورا. ولكن الله سيُجزِيهم خيراً وفيراً من حيث لا يحتسبون.